

صورة المرأة في الشعر الشعبي "بلقاسم زياتي انموذجا"

The image of women in popular poetry
Belkacem Ziani is a model

1 ط د / * بن يعقوب الزهرة

2 جامعة الجلفة (الجزائر)، bngbzohra@gmail.com

2 أد / فشار عطاء الله

جامعة الجلفة (الجزائر)، attalafechar@yahoo.fr

تاريخ الارسال 2024/02/14 تاريخ القبول 2024/03/08 تاريخ النشر 2024/03/31

ملخص:

كان للشعر الشعبي دور كبير إبان الثورات الشعبية الجزائرية، فهو كان يمثل لسان حال المقاومات الشعبية آنذاك، حيث التعبير بالصورة، مظهر في قدم قدم الشعر في حد ذاته، فمنذ بدء النظم كانت الصورة من أهم وسائله الخطابية والجمالية والفنية ينقل من خلالها الشاعر إبداعا فنيا في حلة ساحرة. ولما كان الأدب الشعبي الأقرب إلى وجدان الشعب فلقد كان ولا يزال الشعراء يتغنّون بذلك الجانب الروحي. من هنا كان اختيار موضوع صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري سببا للغوص في أعماق الوجدان وتحديد الحديث عن مكانة وصورة المرأة وكيف ينظر إليها شاعر الجلفة " بلقاسم زياتي " فهي إذن الحبيبة والأم والوطن وكذا الأخت والصديقة والابنة على اختلاف الرؤى وتعدّد الأجيال. الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي؛ الصورة؛ المرأة.

abstract:

The expression of the image, an old artistic appearance introduced poetry in itself, since the beginning of the systems was the image of the most important rhetorical and aesthetic and artistic means through which the poet artistic creativity in a charming suit. As popular literature is closer to the people's conscience, poets have been singing the spiritual side. From here the choice of the subject of the image of women in Algerian popular poetry was a reason to dive deep into the conscience. And specifically to talk about the status and image of women and how to see the poet Djelfa "ZianiBelkacem" is therefore beloved and mother, and the country as well as sister and friend and daughter of different visions and the multitude of beautiful.

Keywords: popular poetry; photo; woman.

تعد الصورة الشعرية من أهم أدوات التشكيل الشعري التي فتن بها علماء اللغة العربية قديما وحديثا، وترتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر المتفاعل مع تجربته الشعرية، ويتوسّل بها للتعبير عن رؤاه ومشاعره وانفعالاته وإنّما كما يرى محمد غنيمي هلال: «جزء من التجربة»⁽¹⁾.

وقد جاء في لسان العرب الصورة هي الصيغة والهيئة، حيث جاء فيه صورة الفعل كذا أو كذا هيئة وصورة الأمر كذا أي صفة⁽²⁾، وهي لا تخرج عن المعنى في القرآن الكريم من سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصُوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽³⁾،

وقد عرفها الدكتور جابر عصفور بقوله: «هي الجوهر الثابت الدائم في الشعر، قد تتغيّر مفاهيم فتتغيّر بذلك مفاهيم الصورة الفنيّة ونظرياتها»⁽⁴⁾، لكن الاهتمام بها يظل قائما مادام هناك شعراء يبدعون.

التعبير بالصورة، مظهر فني قديم قدم الشعر في حد ذاته، فمنذ بدء النظم كانت الصورة من أهم وسائله الخطابية والجمالية والفنية، ينقل من خلالها الشاعر إبداعا فنيا في حلّة ساحرة.

في تراثنا العربي القديم. أشار الدارسون إلى ذلك الأثر الذي تركه الصورة في القصيدة الشعرية، وأدركوا أنه من أهم الأدوات التي يجب على الشاعر أن يستخدمها في إبداعه الفني، ففيها تتضمن الأحاسيس، وتتجلى رؤية الشاعر، ونظرته لكونه وعمق الأشياء.

لهذا لجأ النقاد إلى البحث عن الصورة في كل شعر جميل، ورغم أنهم لم يستعملوا مصطلح الشعرية، إلّا أنهم تحدّثوا عن الألوان البلاغية التي تحمل الكثير من اللوحات الإبداعية الفنية، والتي لا يمكن طبعاً للصورة الشعرية أن تستغني عنها.

ولما كان الأدب الشعبي الأقرب إلى وجدان الشعب وأحاسيسه وهواجسه، فلقد كان الشعراء ولا يزالون يتغنّون - لحد الآن - بذلك الجانب الروحي الخفي والذي تأبى الأعراف والتقاليد والعادات إظهاره للغير، كما كان للشاعر الشعبي على غرار شاعر الفصيح اللجوء إلى الكتابة لأنها ملاذه الآمن، ومتنفسه الوحيد ليعبّر بها ومن خلالها عن حاجات النفس ولواعج الروح.

من هنا كان اختيار موضوع "صورة المرأة في الشعر الشعبي الجزائري" سببا للغوص في أعماق الوجدان وتحديدًا للحديث عن مكانة وصورة المرأة، وكيف ينظر إليها الشاعر فهي إذن الحبيبة والزوجة والأم والوطن وكذا الأخت والصديقة والابنة على اختلاف الرؤى وتعدد الأخيلة.

ولأنّ مدينة الجلفة تزخر بالعديد من الأسماء التي استطاعت وبحق أن تطاول قامة الشعر الفصيح، فلقد وقع اختياري على الشاعر " بلقاسم زباني " نظرا لما تمتاز به لغته الشعرية من سلاسة وقوة وبيان في المعنى واللفظ.

بلقاسم زياتي هو شاعر جلفاوي ولد في 02 سبتمبر 1970 م بعين الإبل ولاية الجلفة شاعر جلفاوي تحوّل على مستوى الأولى من التعليم المتوسط ليدخل بعدها عالم الشغل كعامل يومي. متزوج وأب لسبعة أولاد كانت بداياته الأولى مع الشعر سنة 1998 م مع قصيدة رثائية عنوانها الصدر الحنون والسبب يعود لوفاة والدته رحمها الله ، ومنذ ذلك الوقت بدأ مشواره مع الشعر حيث كان الأول مع الرثاء ثم كتب في كل أنواع الشعر من مدح وشعر وطني وغزل وكذا في الشعر الفكاهي، وقد تتجاوز عدد قصائده التي كتبها 200 قصيدة ، وقد شارك في مسابقتين الأولى كانت سنة 2007 بمؤسسة فنون وثقافة بالجزائر وتحصل فيها على الجائزة الثانية أما المسابقة الثانية كانت سنة 2012 م وهي مسابقة محمد بن شنب بالمدينة وتحصل فيها على الجائزة الثالثة.

الأنشطة: من أهم الأنشطة التي قام بها الشاعر هو الانضمام إلى جمعية نجمة سيدي نايل الثقافية والمشاركة في الأسابيع الثقافية لولاية الجلفة بولايي بجاية وعنابة، وبولاية الجزائر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، بالإضافة للمشاركة في العديد من المهرجانات الوطنية، كما شارك في العديد من الحصص التلفزيونية والإذاعية. فالشاعر كتب للحب وللوطن و... وحضرت المرأة في هيكل قصائده حضوراً دائماً وتعددت صورها ودلالاتها، فهي الوطن تارة والأم تارة أخرى... وتحلّت بقدر كبير صورته ونظرته للمرأة في تلك النظرة السامية الروحية التي اتسمت بالطهر والعفة وكذا عمق التجربة وصدقها.

صورة المرأة عند الشاعر "بلقاسم زياتي" جاوزت ذلك البعد الجسدي والحسي، وتلك الصورة التقليدية التي ورثها الشعراء عن الشعر العربي القديم، إلى صورة جديدة ذات أبعاد رمزية متعددة ومختلفة. فالمرأة تعد بشكل عام أحد أهم منابع الشعر الخالدة، وقليلون هم الشعراء الذين لم يتغنوا بحماها وقد كان توظيف المرأة في شعر "بلقاسم زياتي" هو الملجأ والمتنفس. وقد أخذت المرأة صوراً شعرية عميقة وكثيرة منها:

أ- صورة المرأة الوطن:

ثمة ظاهرة واضحة في شعر بلقاسم زياتي، وهي استخدام رمز المرأة كمعادل موضوعي للوطن وللأرض والثروة ويعبر من خلاله عن موقف وطني عاطفي يظهر فيه صورة الوطن في شكل امرأة يعبر لها عن عواطفه وأشواقه، وهذه الثنائية الرمزية نحو المرأة الوطن والمرأة الأم.

ففي قصيدة "عندي أم" يقول فيها⁽⁵⁾:

عُنْدِي أُمُّ وَغَيْرُهَا مَا عُنْدِي أُمُّ	وُسْطِ الْقَلْبِ غُرَامُهَا رَاةً اَمْعَاشِرْ
عُنْدِي أُمُّ وَحُبُّهَا فَالْقَلْبِ احْكَمْ	مَا نَفَرْتُ مِنْ صُلْبِهَا مَا هِيَ عَاقِرْ
عُنْدِي أُمُّ وَحُبُّهَا سَارِي فَالْدَمْ	عُنْدِي أُمُّ وَخَاوَتِي مِنْهَا يَاسِرْ
قَصْدِي عَلَى الرَّبْعَيْنِ مَلِيُونْ نَتَكَلَّمْ	اللَّهُ يَبَارِكْ قَوْلَهَا عَالَجَزَائِرْ

جُلَّتْ مَعَ التَّارِيخِ وَغِيَّتْ أَنْهَوْمَ
وَالْمَاضِي يَرْوِي هُمُومَ عَالِخَاطِرْ
نَلْقَى صَفْحَةً فِيهِ مَرْتُوشَةٌ بِالدَّمِ
لِي مِنْهَا حَسِيَّتْ كِبْدِي تَنْفَاطِرْ

الشاعر في هذه الأبيات يستحضر مشاعر الوطنية الخالصة في قالب أنثوي يتحدث فيه عن مشاعر روحية، يتوق فيها إلى معانقة هذا الحب الخالد، مجسداً في وطن هو أكثر جمالا من امرأة، ويظهر ذلك جليا في قوله في القصيدة نفسها:

الجزائر قِوْلُ عَنْ غَيْرِي تُحْرَمُ
حَدِّجْ يَا وَطَنِي وَلَا خُوحْ الْكَافِرْ
يَا جَنَّةَ لَيْسَ الْفَرْدُوسُ ائْتَسَمَ
يَا قَلْعَةَ أَمِيرْنَا عَبْدِ الْقَادِرْ
يَا لَوْحَةَ فِيهَا الشَّهِيدُ ائْتَسَمَ
بُرِيْشَةَ مِنْ بَادِيْسٍ كَنْزِ الضَّمَائِرْ
يَا جَنَّةَ بِيْهَا الْمَدْعُوشَةُ تَحْلِمُ
وَمَا نَدَعِشْ مَا نَقْبُلُودَاعِشْرَايِرْ

وهي صورة وجدانية راقية بما يكتنفها من مظاهر جميلة وهي (الجنة - قلعة - لوحة) كما نبذه في هذه الأبيات يفضل وطنه عن كل الأوطان.

ب- صورة المرأة الأم:

للأم مكانة كبيرة في حياة كل إنسان، وبفقدائها تفقد الحياة لونها ورونقها وكل شيء جميل فيها، وهذا ما حرك قريحة أغلب الشعراء ليجود بأقلامهم شعراً بدّل الدموع ومن بينهم الشاعر "بلقاسم زباني" الذي كانت بدايته للشعر سببها وفاة والدته كما سبق الذكر، فبدأ بـ "الصدر الحنون"⁽⁶⁾ ثم سال حبره في العديد من القصائد في نفس الموضوع والتي مطلعها:

دَرْقَلِي وَجْهِ الْأُمِّمَةِ عَالِشُوقَا
وَمُتَوَحَّشَهَا رَاةَ قَادِيْلِي مِشْعَالْ
ثم يقول:

أُمَّا عَيْنِي مَا لَقِيَتْ رَوَاقِ فُقَا
وَدَاعِي بَرْدِ الشِّتَاءِ لَيْلُوا يَطْوَالْ
كُنْتِي لَيْسَ رُتُوسْمَكْفَايَا وَدُفَا
سَاتِرْتِي كَاسِي جَنَابِي كِي لِحْيَالْ
قَائِمٌ قَاعَا فَرِيْسْتِي عَيَّ يَضْفَا
وُنْتَبَاهَا فِي هُمُوتَا فِي يَوْمِ ذَلَالْ
مَا نِيْشْ دَارِي بَرْجَلِيَا تَحْقَا
وُهَلَكْنِي مَشْيِي الْخَلَا وَيَطْوُلُ الْحَالْ
كَانَتْ بِكَرِي عُودْتِي وَسَطِ الْعَلْفَا
وُنَطْهَلْ مَا نِيْشْ فَايْقِي يَا عُقْلَا
تَجْرِي بِيَا وَيْنِ تَهْوَالِي نَصْفَا
وَأَنَّا طِخْ فِي كُلِّ مَجْنَى مَا نَسَالْ

كَانَتْ أُمَّا مَا نُحْبِرُ عَالِصِيًّا وَتَحَرَّمَ لَيْهَا الْبَيْةُ بِنْتُ أَصِيَالٍ
أُتَحَمَّرُ وَجْهِي وَأُضْيَا فِي تَكْفَا وَصُورُهَا قُدَّامَ عَيْنِيَا مَزَالٍ
كَانَتْ تَجْرُسُ كِي الْعَارِمِ بِالْحِفَا وَمِنْ الْحِشْمَةِ مَا يَبَانِلُهَا حِيَالٍ

في هذه الأبيات صَوَّرَهَا في صورة لباس وهو "البرنوس" الذي يقيه من البرد كما صَوَّرَهَا في صورة "العودة" والتي يقصد بها الفرس وهو أعلى شيء عند الرجل البدوي فهي تسهل له اجتياز المصاعب كما عدّد صفاتها ك: (العارم - البيّة بنت أصيال - النجمة - الصُّور ...) ، كما نجده يصور حالته بعد فراق أمّه في قوله :

وَاهِ جَنَابِي كِي أَخْضَارُ غَلَاءِ اسْفَا وَأَنَا طَامِعٌ فِي عُوثُو مِنْ بَعْدِ الْفَالِ
وَزَادَتْ سُوَيْعَةَ دَائِرَةِ ذِيكَ الشَّقْفَا وَمِيزَانِي بَعْدَ إِنْ اتَّعَدَلْ فِي خَدْعَةِ مَالٍ
بَاقِي فَارِقُ مَا تَعَاذَلُوا دَفَا وَبَعْدِ أُمَّا وَيْنِ نَلْقَالُو تَعْدَالِ
الْيَوْمَ اللَّي فِيهِ ذِي النُّجْمَةِ تَحْفَا يَتَمَسَّى بَعْدَ إِنْ اضْوَاتْ عَلَى لَطَالِ

كما نجده في قصيدة "فراق الأم"⁽⁷⁾ يحاور أمّه المتوفية فيقول :

أُمَّا عَيْنِي لَيْلَةَ إِنْ فَارِقْتِنَا خَلَّيْتِنَا كِي اللَّقْوَا لِي قُؤَابِ
أَتُوسِّدُنِي لِيَمَى وَنُسَيَّتِنَا عَشِّيَّيَ لِلْحَاذِ دَارِكُ دَارِ تَرَابِ
يَا مَشُومُ دَا الْعَامِ فِيهِ أَتَعَرَّيْنَا جَلِيدُو قَاسِحِ كِي السَّمِ عَلَى الْجَنَابِ

وفي قصيدة "واش نقول على الأم"⁽⁸⁾ يبيّن الشاعر مكانة الأم في حياته فيقول :

وَاشْ نَقُولْ عَلَى الْأُمِّ وَفُرْفِرْتَهَا وَعِزُّ الْأُمِّ إِذَا خَطَاكَ لَوِينُ عَلِيَّهْ
رَحَلْتُ جَمِيلَةً وَطَالَتْ غَيْبَتَهَا وَطَالَ اللَّيْلُ سَوَائِعُو لِمِنْ تَحْكِيَهْ
لَيْلَةً لَيْلَةً مِنْ خِيَابِي مَسْمَطَهَا دُقْتُ الْمُرَّ عَالْمَرَاةٍ مَتَحْسِيَهْ

وهو ما نجده أيضا في قصيدته "وجه الجنة"⁽⁹⁾ حيث يقول :

يَا وَتَاسَتْ خَاطِرِي وَيْنِ اِمْسِيَّتِي طُولُ اللَّيْلِ يَا مَّةَ وَيْنِ اِرْقَادِكِ
اِتْرَفَعَ صَدْرُ السَّحَابِ أَوْ مَا بِنْتِي دُونِكَ قَطَعْتِنَا قُمَامَةَ قَطَّاتِكَ
شَلُوشْنَا مُنَا الْبَرَّاقُ اِنْفِي مَا شَفْتِكَ ظَنِينَا لِلْقَدَارِ اِدَاتِكَ
فَجَعِيتْ مُوتِكَ كِي الْجَمْرَةِ فِي دَاتِي وَدُرْفِي مَا طَاقَ ذِي الْفَلِّ لَبِ اَخْبَارِكَ

نلاحظ أنّ الشاعر يحاول تخليد المرثي شعريا لا واقعيا من خلال رسم هذه الصورة المثالية التي يحاول تثبيتها في مخيلة السامع ليحمله متعاطفا معه ومنحازا لتلك الصورة .

وكأنّ أهم ما يخلّده في رأيهم هذه الأبيات من الشعر التي يصوغ فيها الشاعر محاسنه ومناقبه ، وكأنه يريد أن يحفرها في الأذهان حفرا ، حتى لا تمحى على مرّ الزمان ، وحتى لا يصيبها شيء من زوال أو نسيان . إنها كل ما يبقى على الميت بينهم وليجعله دائما ماثلا أمامهم⁽¹⁰⁾ .

والشاعر الشعبي بالجلفة كغيره من الشعراء يحاول تخليد الجانب المعنوي في المرثي فهو يدرك أنّها مجال لتخليده ماديا ، وهو يؤمن بأنّها تبقى للراحلين سوى الذكر الطيب خلفا لهم وهو ما نجده عند الشاعر "زياني بلقاسم" في تخليده لصورة مرثيه كما جاء في قصيدة "غير الباح"⁽¹¹⁾ مثلا والتي صوّر فيها حنان أمه وعطفها فيقول :

يَا ضَيْمِي لَمَحِ الْعُمُرُ وَسُنَيْنُ أَمْضَاتْ عَابَتْ عَنَّا جُرَّتِ الْأُمُّ وَرَأَاهَا
كَاتَتْ صُوفِ اكْتَأَفْنَا يَوْمَ ادْفَاتْ أَوْ كَاتَتْ سُتْرَةَ لِلْفَرِيسَةِ* وَقَطَاهَا

فنلاحظ من خلال هذين البيتين أنّ الشاعر شبّه أمه بالصوف واللباس الذي يستر ويدفئ الجسم كما شبّهها بالحصن والجنة فالحياة بوجودها نعيم .

وفي قصيدة "واش انقول على الأم"⁽¹²⁾ يصوّر الأم العطوف المضحية من أجل أولادها فيقول :

مِثْلِ الْحِجْلَةِ كِي تَبْسِطُ جَنْحَتَهَا تَوْفِيْلُو مِنْ رِيَشَهَا بَاشْ اَدْفِيه
هَذِي هِي لِأُمِّ دِيمَا شَطْنَتَهَا وَتُحَبَّرْ عَالِ عَبْدِ كَيْفَ شَأْنُ تَعْدِيه
يَا لَوْ كَانَ عَالِ السَّانِ تَوَصَّلَهَا تَلَحَّفْ هَا لَوْ كَانَ بِالمَوْتِ اتْفِدِيه

وفي قصيدته "وجه الجنة"⁽¹³⁾ التي يصوّر فيها ألمه الشديد لفراق أمه فيقول :

مَطْوُوهَا لَيْلَةُ اَعْلِيَّةَ يَا خَوْفِي لَنْ زَيْتَقُ فَجَرِي مَعَ دَمْعِي شَابِكْ
رُوحَتْ اَنْصَبَّحَ عَالِ حَيْنَةِ وَالِسِّي نَلَقُ التُّرْبَةَ وَالْحَجَرَ عَنْهَا سَامِكْ
لَحْتُ الْعَيْطَةَ لِلْسَّمَا رَافِعَ صَوْتِي قُلْتُ اُنْحَنُّ دَا الْقَبْرِ وَأَنَا هَامِكْ
طُحْتُ اَنْدَرِّي عَالِ نَصَايِمَ دَمْعِي طَامِعْ يَا حَصْرَاهُ مَنَعْدُ نَصْفَالِكْ
شَتَّتْ الدَّمْعَةُ أُمَيْمَةً مَا نُضْتِي يَا مَقْسَى هَاذِ الْحَجَرَ دَرَقِي دَاتِكْ
رَاحَ الْعَقْلُ اخْلَاصَ يَا عَيْنِي جَحْتِي شَايِفْ نَعِيشِي هَاؤُو تَحْتِ اجْفَانِكْ

*فريسة : جسم الانسان .

ولأنّ الشاعر يملك حسا مرهفا ، ينمّ عن شعور عميق بفقدانه لأعز مخلوق لديه وهي والدته ، فالمرأة الأم ، حضورها كان مجسّداً عنده في تلك المشاعر الفياضة التي ترجمها في قصائد أخذت صوراً ودلالات عميقة ، تعددت معها الأشكال والرموز.

ج- صورة المرأة الحبيبة :

كان وجود المرأة منذ البدء يشكل جوهر الحياة ، بل روحها وهيكلها وكنهها العميق إنّه يمثّل ذلك الوجود المطلق الذي لا يحدّه في الأغلب اسم زمان أو مكان يتحدث عنه الشاعر في كثير من الأحيان حديثه إلى غائب مجهول⁽¹⁴⁾.

هذا الحضور الوجداني الرهيب في القصائد الرومانسية الحاملة نجده حاضرا في أشعار "زياني بلقاسم" يقول في قصيدته "شوق القلب"⁽¹⁵⁾ :

خَلَّيْتَنِي لَيْلَةَ الْبَارِحِ نَسْهَرُ	لا وَنَّاسَ ضِيَاهُ لَعَيْنَيَا يَرَاوُ
لا نِسْمَةَ يَوْسَاعِلِي ضَيْقِ الْخَاطِرِ	لا بَسْمَةَ مِنْ زِينَةِ الْجَوْهَرِ نَرْضَاوُ
ظُلْمَةُ لَيْلِي شَفَتْهَا لَا ضَيِّ قَمَرِ	لا سَمْعَةَ وَلَا بِنَجْمَاتُوايَضْوَاوُ
لَيْلَةُ دَمْسَةِ مَابِقَالِي مَا تُخْزِرُ	طَالَ مَدَاهِمِ ذِي السَّوَابِغِ مَا تَنْهَاوُ
أَضْيَمِي مِنْ طُولِ لَيْلِي وَبَيْنَ نَفَرِ	بِسَبَابِكِ صَارُوا أَعْضَامِي تَعَادَاوُ
يَنْلَوِي قَهْلِي نَحْسُوا يَتَعَصَّرُ	يَتَمَلَّصُ مَا بَيْنَ الْجَنَابِ اثْنَاوُ
شَاهِي يَتْرُكُ ذَا الْفَرَسَةِ يُنْدُرُ بَرِ	حَنِّي يَا عَيَّائِي لَشَوْافَقُ دَوُ
لَحْمِي وَلَى مِنْ الْجَوَاحِي يَتَفَرَّرُ	وَعُظَامِي بَاتُوا الْبَارِحِ يَتَكَوَّرُ
ازْمُوشِكُ وَلَاتُ مِنْ لَحْمِي تُنْشَرُ	وَعْيُونُكَ زَادُوا الْجَرَاحَ اتَّقَوَّوُ
خِيَالُكَ مَا حَبَّ يَخْطِي الْعَيْنَ عَشْرُ	مَا خَلَّاشَ أَهْدَابَ عَيْنِي يَتَلَقَّوُ

صوّر في هذه الأبيات اشتياقه وعشقه لهذه الحبيبة، ثمّ يسترسل في شعره واصفا أدقّ تفاصيل المحبوبة في أحسن صورة في قوله :

قَاتِنَ لَوْنِكَ بِالْخُمُورَةِ خَدَّكَ دَرُ	تُرْسِمُ صُورَةَ لَيْكَ رُبَّمَا نَسَاوُ
فِيكَ الْعُصْنِ لِي مَشْهِي بَانَ امْقُرُ	طَابَ مَلَقَمَ دَوَّقُ عَلَى شَاوُ
فُؤُكُ خَاتِمَ فِيهِ رَيْقُ الْمَاءِ سِرْسِرُ	مُرْجَانَاتُ بَشْطُ لَعَجُو يَتَلَالَاوُ

وَالْحُنُوفَةَ وَأَشْ مَا رَبِّي صَوَّرَ مَقْدُودَةً فَوْقَ شَفَائِيغِيئَهَاوُ

ثمّ يصرح الشاعر بعد ذلك بعد أن فاض شوقا وحرمانا ، وظهر بؤسه وحرمانه من لوعة الفراق ، فيقول :

شَوْقِ الْقَلْبِ رَمَاهُ طَيَّارٌ مَقْرَرٌ دَقَاتُوا مِنَّا وَعِنْدِكَ يَنْتَهَاوُ

ثمّ يعودُ مُتَذَكِّرًا أَيَّامَهُ مَعَ خَلِيلَتِهِ يَقُولُ :

مَاذَا طَلَعْنَا مَجَابًا وَمُحَادِرَ وَمَاذَا شُفْنَا مِنْ مَهَاوِي يَدْرَبَاوُ

وَمَاذَا دَخَلْنَا جَنَّةَ الْيَاسَنِ وَأَخْضَرَ فِي يَدِّي يَدَ الْخَلِيلَةِ نَتَحَاكَاوُ

كَانَتْ بُحْنِي كِي اللَّبْوَةِ تَبْخُخَرُ تَهْمِسْ لِي كَلِمَاتِهَا لِأَنَّ بَقَاوُ

ثمّ يشكو الشاعرُ بَعْدَ ذَلِكَ سُوءَ حَالَتِهِ وَتَدَهُّورَهَا فَيَقُولُ :

ذُرْكَ نَايَهَ عَادَ نَوْمِي مِسْعَسَرُ شَارِدٌ وَخَدِي كُلِّي لَيَّامِرْدَاوُ

نَتَخَيَّلُ وَنُشَوِّفُ صُورَتَهَا تَطْهَرُ يَا حَسْرَاهُ مَنِينٌ كَانَ الْحُبُّ ابْشَاوُ

نَلْقَى بِسْمَاهَا وَبُجْهَرُ وَنَكَرَرُ أَنَادِي وَخَدِي عَلَى سَاعَاتِ مَضَاوُ

لَوْ شُفِّي وَشَرَاهُ حَالِي مُتَعَيَّرُ جَبَّةٌ مِنْ ضِدِّي عَلَى حَالِي يَنْدَاوُ

ثمّ نجد الشاعر في الأبيات التالية من نفس القصيدة يرمز إلى اسم محبوبته ويعرف بها دون أن يصريح به :

ذَا رَبَّانِي شَاعِرُ الْجُلْفَةِ شَوَّرُ رَنَعَ أَحْرُوفُ أَسْبَابِ نَظْمُو وَيَنْ قُداوُ

حَرْفِ الْجَيْمِ وَنُونِ ضَمِّ التَّاءِ تَقْصُرُ جُرْ مَا بَيْنَانَهُمْ نَصْبَةُ عَالَوَاوُ

يُظْهَرُ لَكَ اسْمُ الْحَبِيبَةِ يَسْطَرُ مِتْرَتَبٌ تَلْقَى مَعَانِيَهُ بُلْنَحَاوُ

خَلِّي اسْمَ بِلَادِهَا يَبْقَى فِي السَّرِّ وَمَا بُجْهَرِشْ بِنَاسِهَا حَتَّى يَرْضَاوُ

ذِيكَ السَّاعَةَ نَقُولُ دَا نِسْبِ خَيْرُ لَوْلَادِي خَيْرَتْ لِحَوَالِ أَنْ يَعْلاوُ

وَمَا نَنْسَاوُ طُولَ مَا دَامَتْ الْعُمُرُ حَتَّى نُرْوَحُولُ لِقَاءَ بَرٍّ يَوْمَ أَنْ نَفْنَاوُ

هذا الحضور الفاعل والنابض بالحب ، رغم الأسى والهجران ، لكنّه يضيفي على قصائد الشاعر مسحات جمالية ، فتتنوع الأساليب البلاغية عند الشاعر ، فهي رقيقة غنائية في العتاب والحب ، وقوية ومتابعة النبض في وصف ذلك الهجر والبعد .

حيث ينطبق عليها قول ابن الأثير : بأن ألفاظها تجري من السمع مجرى الأشخاص منابصر ، كالألفاظ الجزلة ، تتخيل في السمع عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي لين أخلاق ولطافة مزاج⁽¹⁶⁾ .

د- صورة المرأة الابنة :

وقار القصيدة الشعبية يلبس هذه المرأة حلة انسانية رفيعة ، تحضر فيها قيم الأبوة وأواصر المحبة بين الشاعر وابنته التي احتفظتها يد المنية ، فأثر موتها في الشاعر أيما تأثير .

نجد الشاعر "زباني بلقاسم" في قصيدته "سمية" يقول:

يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَا فَرَاكَ يَا بَنِي	وَمُوتَ الْحَدَّعَةِ رَجَّتْ زَكَيرَ قَاشِيكَ
يَا بَنِي فِي ذِ النَّهَارِ اتَّعَيْتِي	مِثْلَ قَرِيْبَةٍ قَا الْعَيْنُ تَذَرُّ عَلَيْكَ
مِثْلَ عُرُوسَةٍ عَلَى الْوُجُوهِ اَذْرَقِي	حَتَّى الْحِنَّةُ مَا هَدَاتِ مِنْ بَرُودٍ يَدِيكَ
وَلَا خُرُوفَةٍ مِنَ الْمِرَاحِ تُحَدِّثِي	وَأَمَاتِكَ يَصَايُحُوا فِي الْبِرِّ عَلَيْكَ

فشبه ابنته بالعروس التي تختفي عن الأنظار، كما شبهها بالخروف دلالة على صغر السن.

كما يقول في أبيات أخرى:

مِثْلَ النَّجْمَةِ قَا فُقَلْتِ اَتَمَسَّيْتِي	وَأَتَلَمَّذُ بِيكَ السَّحَابُ وَكُبُذْ كَاسِيكَ
مَا نَجَبَرُ جُرَّةَ فُصْدِي وَأَذْرَقِي	لَيْلِي مِظْلَمٌ قَا نَهْلُ بَاهُ نَجِيكَ
وَالْعَزَايَةِ مَالِيهِ سَاحَتْ بَنِي	اِيَكْتَرُ خَيْرٌ لِي اخْضَرُ وَاسَانِي فِيكَ
عَالِمِ دَرَسَةِ ذِيكَ وَالسَّاحَةِ غِبْتِي	وَأَتَجَاتِكَ الْجَمْرُ وَاشْتَاؤُ لِيكَ
كُنْتُ شَمْسُ رُبْعٍ لَيْهَا شَبَّهْتِي	يَفْكُرْنَا حَتَّى ضِيَاهَا فِي عَيْنِيكَ
سَكْنِكَ فَصَلِ الرُّبْعُ بِيهِ اَتَبَسَّمْتِي	وَحَتَّى مَارِسُ مَنَبَتِ اَزْهَارُو خَدِّيكَ
كُنْتُ زَهْرَةً بَيْنَ الْأَزْهَارِ اُنْبِي	مَنَبَتِ صَابِي حَوْضِ مُوَلَاكَ مَعْدِيكَ

ففي هذه الأبيات يشبه ابنته بالنجمة وشمس الربيع في ضيائها، كما شبه موتها بالنجمة التي تختفي خلف السحاب فيذهب ضيائها.

ويصور بعد ذلك حالته بفقدائها وحزنه الشديد في قوله:

حَيْثُ مَفَقِي كِي اَزْدَمَّتِكَ يَا بَنِي	اِخْرَزْتِكَ فِي قَاعِ اَرْضٍ وَخَبِيكَ
--	---

مَنْزَلٌ طُوبَ عَلَى تَرَابُوعَيْنِي
وَرَانِي خُفْتُ يَعُودُ مِصْرَدُ وَيَقُوبُكَ
خَانِنِي شَجَاعَتِي وَرَجُولَتِي
نَبِكِي وَالِدَمْعَةِ تَشْرَشَمُ فِي صَمَتِي
وفي قصيدته "مبسم خيرة" يقول:

يَا بِنْتِي جَاتَا فَرَاقِكِ مِتَحْتَمٌ
أَوْ مَا دِرْنَا شَاوُ الْعُمُرِ تَقْ ضَلَيْسَامُ
يَا بِنْتِي زَهْوِ الْخَوَاطِرُ رَاهُ احْرُمُ
وَأَوْ كَانِشْ ضَحْكَةُ قَا حَشْوَةُ فِي لُقَامُ
ثُمَّ يَسْتَفِيزُ مَصُورًا ابْنَتَهُ فَيَقُولُ:

دَارُ انْتَخِطِيهَا تَرِيَّتَهَا تَهْزَمُ
وَمِنْ الْمَغْرِبِ وَاهُ عَتَبَتَهَا تَظْلَامُ
مَاكِشْ دَارِي زَهْرَةُ اجْنَانِكَ تُحْطَمُ
وَتُسَبِّقُهَا نُورُ عَيْنِيكَ الْفُكْدَامُ
وَعَلَى طَيِّ اِكْتَابَهَا نَزَحْتُ لُقَامُ
وَبَابُ الطَّاعَةِ دَائِرَةٌ مِثْوُ وَيَسَامُ
مَنْبَتُهَا لِحَافُ قَوْلِ الْبَالْمَرْحَمِ
ضَارِي تُقْصِدُ بَابَهَا لِيَهْ أَتَسْقِمْ
ثُمَّ يَقُولُ فِي نَفْسِ الْقَصِيدَةِ :

يَا حَصْرَاهُ عَلَى الضَّحْكَةِ وَالْمِنْسَمِ
وَاهُ دَرَاغُ الْمَوْتِ بِالْفَرْقَةِ يَهْزَمُ
وَبْنُ صَالِحِ سَبْعِ الطَّحْطَاخِ مِتْأَلَمُ
وَيَحْصِرَاهُ عَلَيْكَ يَا رِيْمَةُ لُزِيَامُ
وَيَزِرْغُ شَيْقُ عَلَى دَمْعَةٍ لَيْتَامُ
قَطَعْتُ عَيْنُو كِي النُّجْمَةِ وَسِطُ غَمَامُ

في هذه الأبيات يعدد خصال الفتاة وماذا فقد بفقدتها كما يصورها في أحسن الصور فاختار ((الثريا - زهرة - نور - الوعلة - الرِّيم - نجمة ...)) .

سنحاول أن نبين أهمية استعمال الصورة في نقل الأحاسيس والمشاعر الوجدانية في الشعر الشعبي بالجلفة من خلال دراستها في بضع قصائد للشاعر زباني بلقاسم .

1- الصورة من المنظور القديم :

إنَّ الشاعر بصدد تصوير معاناته التي عاشها ، والمتمثلة في وفاة شخص عزيز سواء كان قريباً أو صديقاً فينطلق معبراً عن ذلك بصورة محتشدة بدلالات الألم والحزن والأسى تجسد هول المأساة التي حاصرت الذات ، وأفقدتها القدرة على المقاومة ، فصارت أسيرة زمن الموت ، « فهي تجربة أليمة لا يمدّها بفيض المشاعر سوى الاحساس

الصّدق بقداحة المصاب ، وعدم القدرة على استيعابه «⁽¹⁷⁾ حيث نجد الشاعر ينوع بين الصور الإستعارية والكنائيات والتشبيه .

1-1- التشبيه :

يستخدم الشاعر الشعبي في الجلفة التشبيه لبيان حزنه فجنده منشور في ثنايا القصائد فتر بالتشبيه في قصيدة " سمية " ⁽¹⁸⁾ لزباني بلقاسم :

يَا بَنِي فِي ذِ النَّهَارِ اتَّعَيْتِي مِثْلَ قَرِيْبَةٍ قَا الْعَيْنُ تَدَّرْ عَلَيْكَ
مِثْلَ عَرُوسَةٍ عَلَى الْوُجُوْءِ اَدَّرَفِي حَتَّى الْحَيَّةُ مَا هَدَاتْ مِنْ بَرُودْ يَدِيْكَ
فشبه ابنته بالعروس التي تحتفي عن الأنظار .

وفي قصيدته " وجه الجنة " شبه حياته بالجنة عندما كانت أمه على قيد الحياة في قوله :

كَانَتْ جَنَّةٌ دِنِيَّتِي مِلِّيْ كُنْتِي شَمْسُ ارْبِيعِي شَارَقَتْ بَيْنَ اهْدَابِكَ
كما يقول في نفس القصيدة :

عِنْدِكَ يَتَحَطَّوْ اُوْبِيْهِمْ اَرْضِيَّتِي اَجْمَلْتِيْهِمْ كِي خُمَسَاتْ اسْحَابِكَ ***
شبه هنا الأبناء بقطعة ذهب .

ونجد التشبيه البليغ أيضا في قصيدة " واش نقول على الأم " في البيت التالي :

كَانَتْ نِجْمَةٌ ضَاوِيَا فِي مَرَسْمِهَا سَالِبَ بَصْرِي نُورَهَا دِيمَا مَدِيَّة
وفي بيت آخر يقول :

مِثْلَ الْوَعْلَةِ كَي زَلَّتْ طَيْرَتْنَهَا وَأَنَا فَلَِيْ دُوْنَهَا طَارَ بِجَنْحِيْ

ففي البيت الأول شبه أمه بالنجم الذي يضيء الكون ، وفي البيت الثاني شبهها بالعصفور الذي لا يطير وذلك بعد موتها .

وفي القصيدة نفسها يقول عن أمه ووفاتها مشبها إياها بسحابة صيف فيقول :

مِثْلَ اسْحَابِ صَيْفٍ كُنْتُ رَعْدَتْنَهَا هَزَّتْ فَلَِيْ زَلْزَلَتْ لَضَاعْ عَلَيْهِ
ومن قصيدة " غير البارح " ⁽¹⁹⁾ نجد قوله :

كَانَتْ صُوفٌ اُكْتَانْنَا يَوْمَ اَدْفَاتْ أَوْكَانَتْ سُتْرَةَ الْفَرِيْسَةِ وَقَطَاهَا ****

كَاتَتْحَصْنًاغَضَامَنَا وَيَنْ اَتَرَّتَات
وَزَزَعَتْ كَيْمًا لَحْمَهَا وَغَضَاهَا
رَفَدْتُنَا يَوْمَ اشْقَا تَعَبَتْ وَغِيَات
حَمَلْتَنَا مَا بَيْنَ قَطْعَاتِ احْشَاهَا
عَطَفَتْ عَنَّا فِي نَهَارِ دَارِ هَوَات
عَلَى رُكْبَتَيْهَا ذِيكُوتُوسَدْنَاهَا
كَاتَتْ أُمَّةٌ كِي الْجَنَّةِ فَالْحَيَات
كُلُّ بَسْمَةٍ تَبَعَتْ الرُّوحَ امْعَاهَا

فنلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ الشاعر شبه أمّه بالصّوف واللباس الذي يستر ويدفئ الجسم، كما شبهها بالحصن والجنّة، فالحياة بوجودها نعيم.

ونجدها بنفس الدلالة عند زباني بلقاسم في قصيدته " وجه الجنّة " ⁽²⁰⁾ حيث يقول:

صَدَّيْتِي صَدَّ الْوَدَاعِ أَوْقَفَيْتِي
هَذَا اللَّيْلَةَ فِي فَرَاشِكَ حَنَيْتِي
فَجَعَلْتَ مَوْتِكَ خَاطِفَةً مَائَاتَاتِكَ
رُحْتِي عَنَّا دَاخِلَةَ قَبْرِكَ بَيْتِي
وَاللَّيْلَةَ اللَّيْلَةَ حَايَةً وَبَيْنَ امْبَاتِكَ
مَطْوُهَا لَيْلَةً اَعْلِيَةً يَا خُوتِي
أَوْ مِنْ حَطِّ الْمَقَاطِ صَمَمَ حَيْطَانِكَ
رُوحَتْ اَنْصَحَعَا لِحَيْنَةِ وَالْيِي
لَنْ زَيْقُ فَجْرِي مَعَ دَمْعِي شَابِكَ
نَلْقَ التُّرْبَةَ وَالْحَجَرَ عَنْهَا سَامِكَ

كلّها أبيات تظهر حالة موت الأم وأثرها في نفس الشاعر، ونلاحظ أنّ الشاعر الشعبي استفاد من التشبيهات لبيان وتأكيد حزنه على فقد العزيز وشدة ذلك وأثره في نفسه ، فعبّر بصور وألفاظ ناتجة عن أحاسيسه الحزينة .

1-2- الاستعارة :

إنّ الصور الاستعارية أقدر من الصور التشبيهية في إظهار الطاقة الخيالية وكذلك الأداء الجمالي فالاستعارة من شأنها أن تلغي الحدود وأن تحطّم الفواصل ، فيندمج الطرفان في صورة واحدة حتّى لو كانا متناقضين ⁽²¹⁾.

كما يأتي الشاعر بالاستعارة لبيان مشاعره إمّا لشدة تفجّعه بفراق المرثي ومبالغة في ذكر مناقبه ووصف فاجعة موته.

فنجد أنّ الشاعر بلقاسم قد استعان بالاستعارات في قصائده، مثلاً في قصيدة "مبسم خيرة" يقول:

صَدَّيْتِي صَدَّ الْوَدَاعِ لِي يَفْ سِم
اللّي يَشْقَى الْكِيدَةَ الْجُطْمَهَا تَحْطَام

فشبه وفاة ابنته بسكين يقطع أحشائها ويحطّمها، وذلك دلالة على هول مصيبته.

كما شبه في قصيدته "فراق الأم" بكائه على فراقها بالنّار فحذف المشبّه به النّار وأبقى على إحدى لوازمها وهي (احتراق) وذلك لدلالة على حزنه العميق فيقول :

يَوْمَ غَيَابِكَ قَالِدَمْعَةً حَزَنَتْنَا
خَدِّي بِحَزْنِي يَا مَا نَسَحَسُوا طَابَ
رَاهَا مَحْنَةً عَالِمَحَايِنَ صَابَتْنَا
فَقَيْتِيوَنَقْلَقَتْ دُونَكَ لَدَرَابَ

كما نجد في قصيدته " سميّة " شبه الموت بالإنسان فيقول :

يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَا فَرَاكَ يَا بَنِي
وَمُوتَ الْحَدْعَةِ رَجَتْ زَكَيْزَقَاشِيكَ
يَا بَنِي فِي ذِي النَّهَارِ اتَعَيْتِي
مِثْلَ قَرِيْبَةٍ قَا الْعَيْنُ تَذَرُّ عَلَيْكَ

للدلالة على وقع هذه المصيبة في نفوس أهل الفقيدة .

وفي قصيدته " وجه الجنة " شبه القبر بالإنسان فحذف المشبه به الإنسان وأبقى على لازمة من لوازمه وهي الحنان بقوله (انْحَنَنْ) في البيت التالي :

لَحْتُ الْعَيْطَةَ لِلْسَمَا رَافِعَ صَوْتِي
قُلْتُ انْحَنَنْ ذَا الْقَبْرِ وَأَنَا هَامَكُ

وأيضاً لبيان حبه إماً للمرأة أو للوطن، فالاستعارة التي تبين حب الوطن ما نجد عند الشاعر في قصيدة "عندي أم" :

عَنْدِي أُمُّ وَحُبُّهَا سَارِي فَالْدَمِ
عَنْدِي أُمُّ وَخَاوْتِي مِنْهَا يَاسِرُ

هنا نجد استعارة تصريحية حيث شبه الشاعر الوطن بالأم ، نزع المشبه وهو "الوطن" وذكر المشبه به هي "الأم" ، وبأن له الكثير من الإخوة رغم أن الوطن لا ينجب .

أما الاستعارة في قصيدة "شوق القلب" التي تبين حب المرأة ما نجد في قوله:

ارْمُوشِكَ وَلَاتٌ مِنْ لَحْمِي تُنْشَرُ
وَعْيُونُكَ زَادُوا جَرَاخَ اتَّقَوَّارُ

في هذا البيت استعارة مكنية حيث شبه رموش حبيبته بالمنشار فحذف المنشار وذكر عمل المنشار .

1-3- الكناية :

تكتسب الكناية شعريتها من غموضها النسبي ، إذ تعدل من التصريح إلى الإشارة المحملة بالإيحاء والدلالة ، كما أنّها توقّر للعبارة جانباً من التكتيف اللغوي ، حين تغدو البنية اللفظية قصيرة موجزة لكنّها محملة بدلالات كبيرة ، وهي « ضرب يوفر لنا اقتصاداً مفيداً ، يظهر بجلاء بعداً من أبعاد الشعري »⁽²²⁾.

ويستفيد الشاعر الشعبي في الجلفة بهذا الأسلوب للكشف عن عميق حزنه ومعاناته.

يقول الشاعر زباني في قصيدته "مبسم خيرة" :

وَلَا لِي خَلَّاتُوا عَلَى الْعَامِ إِمِيَّتَمِ
يَتَقَيَّدُ مِثْلَ الْخُرُوفِ بِدُونِ فُطَامِ

أين نجد أنّ ابنها صغير لم يبلغ سن الفطام .

وإذا تفحصنا قصائد الشاعر زيتاني بلقاسم فنجده أيضا يستعمل الكنايات ومن ذلك قوله :

• في قصيدة " غير البارح " :

ضَيَّ النَّجْمَةَ قَاطِلُ الْقَيْثِ قَاتٌ
وَسَحْجُورَابُو ثَرَيَّاتٌ اخْذَاهَا
طَاحَ اسْمَاءُ وَلَعَصِي ***** بَانُو قَطْعَاتٍ
مَطُولٌ لَيْلِي وَسَوَايَعُ لَوَاهَا

دلالة على موت الفجأة والألم الذي يعتصر قلب الشاعر .

• في قصيدة " فراق الأم " :

اتَّوَسَّدَتِي لَيْسَى وَنَسَيْتِنَا
عَشَّيْتِي لِلْحَاذِ دَارِكِ دَارِ تَرَابٍ
يَا مَشُومَ دَا الْعَامِ فِيهِ اثْعَرَيْنَا
جَلِيدُ قَاسِخِ كَيْي السَّمِّ عَلَى الْجَنَابِ

ففي البيت الأول دلالة على موت الأم ودفنها ، أما البيت الثاني دلالة على مرارة الموت ، ونجد أبيات من قصيدة أخرى له نفس الدلالة إذ يقول :

• في قصيدة " وجه الجنة " :

أُمَّا عَيْنِي نَائِمَةٌ لَا أَفْطَنِي
وَصَبَحَ لِرَوْضَةِ مَسْرِي حَفَّارِكِ

• في قصيدة " واش نقول على الأم " :

أُمِّمْتُهُمْ دَا لِمَرَّاسِمِ هَجَرْتِهَا
طَارَتْ عَنْهُمْ كَيْي الْوَعْلَةَ جَاتْ لِهِيَّةِ
عَنْهُمْ مَا يَهْدَاشُ سَامِرُ حُرْقِ تَتَهَا
غَيْثُ الْعَامِ وَمَا نَضُّو شَيْطَانِيَّةِ

كناية عن شدة حرقة أبناءها حيث أنّ غيث عام كامل ولا يطفئ هذه الحرقة .

• في قصيدة " سمية " :

فَقَدْتُكَ شَاوُ الْعُمُرِ وَاتَّكَفَّنِي
وَفِي شَرْمِيطَةِ حَازِمِكِ بِيهَا كَاسِيكِ
الْبَارِخِ كُنْتِي هُنَا لَيْثًا كُنْتِي
وَاللَّيْلَةَ تَحْتَ التَّرَابِ النُّومُ يَحِيكِ

كناية عن الموت في عمر مبكر .

• في قصيدة " شوق القلب " :

فُؤُكُ خَاتِمَ فِيهِ رَيْقُ الْمَاءِ سِرْسِرِ
مُزَجَّاتَاتٍ بَشَطُ لَعَجُو يَتَلَاوُ

كناية عن الجمال ، شبه أسنان المرأة بالمرجان فحذف المشبه "الأسناس" وذكر المشبه به وهو "المرجان" .
ولا يخفى ما تؤديه الكناية هنا من إيجاز يختصر الدلالة التي أرادها الشاعر من خلال اللفظ .

2- الصورة من المنظور الحديث :

1-2- الصورة الجزئية والكلية :

إنّ الشاعر يختار ما يناسبه يختار ما يناسبه من الصور الشعرية لتبليغ قضاياه وترجمة أحاسيسه وبعث رؤيته الشعرية ، ومن بين أنماط الصور التي يوظفها الشاعر الشعبي الصورة الشعرية الجزئية والكلية .
فالأولى هي صور متنوعة نجدها في قصيدة الشاعر ويعتمد فيها على الوسائل البلاغية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والكناية ، « ويجشدها حشداً في قصائده ، ليعبر عن معنى بعينه... »⁽²³⁾ ، فتكون الصورة متعددة الوسائل تعكس في جميع أطرافها موقفاً واحداً وتسعى بكثافته نحو بلورة موقف معين ، ويختصر بذلك المسافة بين الواقع والصورة .

أما الثانية أي الصورة الكلية فهي لوحات عامة توحى بالوحدة والتناسق بين صور جزئية « وظيفة بنائية بعينها ، فتتحوّل إلى لبنات في هذا البناء التصويري المتكامل »⁽²⁴⁾ فالشاعر يختم صوره الجزئية بصورة كلية فيكون مشهداً متكاملاً .

ونلاحظ من خلال قراءة القصائد التي بين أيدينا والتمعن فيها وجود هذا النمط عند الشعراء الشعبيين في الحلفة .

فمثلاً يرسم لنا الشاعر صوراً جزئية تتعاقب الواحدة تلوى الأخرى ممثلة على أنه لو كان بإمكانه استرجاع الفقيده لبذل لذلك النفس والتفيس .

نجد ذلك عنده في قصيدته "مبسم خيرة" فيقول متسائلاً ومحاوراً فقيدته:

لَمَنْ خَلَيْتِي لِبَاسِكْ وَلِحَاتِمْ	وَلَمَنْ خَلَيْتِي فُرَاشِكْ فِي ذِي الْعَامْ
وَلَمَنْ خَلَيْتِي زُرَابَا تَتَلَمَلَمْ	تَنْعِي فِي بَعْضَاهَا مِلْحُ وَطَعَامْ
وَجَنَابِكْ ضَرْكْ عَلَى مَنْ تَتَلَقَّمْ	وُ جَهَارِكْ حَزْمُوكْ فِيهِ بِدُونْ أَكْمَامْ

ثم يختم بصورة كلية يبين فيها أن هذا حكم الله ولا مفر منه فيقول :

لَا كِنْ هَذَا مَا قَضَى رَبِّي وَ احْكَمْ	نَقَدْ حُكْمُوا مَا يَزْدُوهُ الْحُكَامْ
--	--

وفي قصيدته "سمية" أبياتا يصور فيها كيفية موت ابنته في حادث فيقول :

مُوتِكْ يَا مِثْقَالَ رُوحِي هَزَمْتَنِي	مَا هِيَ قَرْضِي نَائِفِكْ وَلَا نَعَادِيكْ
--	---

انْقَصَيْتِي مِنْ لَحْمَنَا وَفَقَيْتِي
اخْنَايَا جَنْبَاكَ وَالتُّرْبَةَ تَدْيِكَ
مَا جِئْتِي بِيَدِ الشَّرْعِ لَا مُكْحَلْتِي
وَأَنْعَارِضْ عَلَى الْحُكْمِ وَلَا نَفْدِيكَ
مَعَ كُمُشَّةٍ مِنَ الْحَدِيدِ أَتْلَافَ نِي
وُمُولَاهَا شَكَّيْتُ مَا هِيَ جَاعَانِيكَ
مَا فَيَّيَ مَا فَاتِكَ مَا وَلَّيْتِي
لَوْ أَجْلِكَ مَا زَالَ لَا كَانَتْ تَحْطِيكَ
لَوْ أَجْلِكَ مَا زَالَ لَوْ كَانَ أَمْنَعِي

ثم يختم بصورة كلية يظهر فيها أن هذا قضاء الله ويجب التسليم له :

لَوْ أَجْلِكَ مَا زَالَ لَوْ كَانَ أَمْنَعِي
وَتِيحَالِكُ فِي اللَّوْحِ بِأَقْلَامِ الْمَالِكِ

ونرى الشاعر زباني كمعظم الشعراء الشعبيين يختم قصائده بصور جزئية تمثل صورة كلية معبرة عن دعوات الشاعر بكل معاني العظمة ودلائل الايمان .

2-2- الرمز :

الرمز لغة : الإشارة أو الإيحاء بالشفنتين أو الحاجبين أو أي عضو آخر في الجسم البشري ، و يعرفه الأزهري « الحركة والتحريك... »⁽²⁵⁾ ، وكلمة رمز لها جذور في اللغة العربية فنجد ذكرها في القرآن الكريم : ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تَكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾⁽²⁶⁾ .

وقد تكلم غنيمي هلال عن الرمز كأداة ضمنية جدّ فعالة يوظفها الشعراء لتغذية تجاربهم الشعرية ، فقال أنّ الرمز في هذا المعنى معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغة لدلالاتها الوضعية والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإشارة⁽²⁷⁾ فهو إذن وسيلة إيحائية يعتمد عليها الأديب للإفصاح عن عواطفه أو تجربته المكبوتة داخل أعماق النفس ويعتمد الشاعر الشعبي على الرمز الشعري ، الذي يكثر استعماله في الشعر الشعبي الجلفاوي والذي يكون أبلغ لإيصال المعنى .

فقد استعمل الرمز في معظم قصائده ، ونذكر هذه الرموز في الآتي :

✓ في قصيدة " غير البارج " التي استعان فيها بالرمز (الوعلة) للدلالة عن أمّه التي فارقت كالصفرور الذي غادر وكره:

هَٰذَا اللَّيْلَةُ دَارُفَ عَالِيْنَافٍ دَاتِ
مِثْلِ الْوَعْلَةِ طَائِرَةٍ وَدَرْنَاهَا

✓ في قصيدة " واش نقول على الأم " استعمل الرمز (نجمة) للدلالة على جمال أمّه :

كَانَتْ نِجْمَةً ضَاوِيَا فِي مَرَمِّهَا
سَالِبَ بَصْرِي نُورَهَا دِيمَا مَدْيَةٍ

✓ في قصيدة " فراق الأم " استعمل الرمز (ركيزة) للدلالة على دور الأم وأهميتها :

إزكيزة ذ البيت رابت خدعتنا
بعذ إن ستمكت خاوتي ف نطاسي راب
✓ في قصيدة " ميسم خيرة " التي استعمل فيها الرمز (ريمة) أي الغزال وقد استعمله للدلالة على جمال ابنته :

يا حصرة على الضحكة والميسم
ويحصرة عليك يا ريمة***** لرنام
✓ في قصيدة " سمية " استعمل الرمز (شمس) (زهرة) للدلالة على جمال الفريدة :
كنت شمس زيع ليها شبهتي
يغكرنا حتى ضياها في عينيك
سكنك فصل الربيع يه اتبسمتي
وحتى مارس منبت ازهارو خديك
كنتي زهرة بين الأزهار انبي

ومهما كان نوع الصورة فإنها تؤدي غرضها ، وتتوغل إلى نفس القارئ وتجذبه للأعمال الشعرية .

وخلاصة لما سبق ذكره نجد أن الشاعر زباني بلقاسم عرف ما للصورة الشعرية من أهمية فاستعملها أيما استعمال فنجده وظف الأساليب البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ، فاستعار من الليل ظلامه ومن الشتاء قساوته ... ، إلى جانب الأنماط الأخرى من الصور فنجد في القصيدة توالي صورا جزئية يختتمها الشاعر بصور كلية معبرة ومشخصة للمعنى ، ولم ينس الشاعر الرمز وأهميته في القصيدة وما يضيفه على المعنى ، فاستعان برموز من الطبيعة ووظفها للدلالة على فقيده كالقمر والنجمة والزهرة.

والشاعر الشعبي بحذاقته استعمل كل هذه الصور ليخرج قصيدته على أكمل وجه ومن خلال هذه النماذج الشعرية التي تعرضنا إليها ، يتبين لنا أن المرأة تجسد في شعر "بلقاسم زباني" نماذج رمزية بأسلوب راق ، ليست مجرد كونها أنثى ، بل تتسع النظرة إليه لتصبح رمزا لمجموعة من التصورات المعنوية التي تمثل الوطن والخصوبة والنماء . كما تتجلى لنا رؤية عميقة للمرأة فحبها لها وشغفه بهذا الكيان فتح أمامه المجال للحديث عن صور أخرى للمرأة ، ولم تعد تقتصر على الوطن والأرض أو الأمومة فقط وإنما أخذت أبعاد أخرى تجاوزت حدود المحبوبة ثم الابنة ، لتصبح المرأة بعد ذلك معادلا حيا لاستمرارية الحياة وديمومة الكون .

الهوامش :

- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ط1 ، بيروت : دار العودة ، 1982 ، ص 410.¹
- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 1994 ، ص 473.²
- القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية (06).³
- محمد حسين عبد الله ، الصورة والبناء الشعري ، دار المعارف ، القاهرة ، 1989 ، ص 174.⁴
- أخذت عن الشاعر مخطوط لهذه القصيدة يوم 2016/10/30 على الساعة الخامسة مساءً ، بمحلّه الكائن بمدينة الجلفة.⁵
- أخذت عن الشاعر ، المرجع السابق نفسه.⁶
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.⁷
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.⁸
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.⁹
- شوقي ضيف ، الرثاء ، دار المعارف ، القاهرة ، 1955 ص 55.¹⁰
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.¹¹
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.¹²
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.¹³
- عبد القادر القط ، الإتجاه الوجداني في الشعر العربي ، النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط2 ، 1981 ، ص 289.¹⁴
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سابق.¹⁵
- أحمد رشدي صالح ، الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، ص 29.¹⁶
- * - وعلة : طائر .
- ** - الريم : غزال
- علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ط 3 ، 1983 ، ص 223.¹⁷
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سبق ذكره.¹⁸
- *** - اسخاب : عقد ترتديه المرأة الجلفاوية تصنعه بيدها بواسطة القرنفل والعطر .
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سبق ذكره.¹⁹
- **** - فريسة : جسم الانسان .
- أخذت عن الشاعر ، مرجع سبق ذكره.²⁰
- عيسى متقى زادة وآخرون ، إضاءات نقدية ، ع 9 ، 2013 ، ص 149.²¹
- أحمد قنشوبة ، البناء الفني للقصيدة الشعبية الجزائرية منطقة شمال الصحراء أنموذجا (1950-1850)، دار السنجاك الدين²²
- للكتاب ، 2009 ، ص 271.
- **** - لعصي : نجوم .
- أحمد قنشوبة ، الشعر الشعبي في منطقة الجلفة (1990-1940)، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر ، 1998 ، ص 223²³
- (قول مأخوذ من كتاب الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية لأبراهيم عبد الرحمان محمد).
- أحمد قنشوبة ، الشعر الشعبي في منطقة الجلفة (1940 – 1990) ، المرجع السابق نفسه ، ص 225.²⁴
- أبوا منصور بن محمد بن أحمد الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تح : أحمد عبد العليم البردولي ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع²⁵
- القاهرة - مصر - ، دت ، ص 250
- القرآن الكريم ، سورة آل عمران ، الآية (41).²⁶
- محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار العودة ، بيروت ، (لبنان) ، دط ، 1983 ، ص 398.²⁷
- ***** - الريم : غزال .